بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 2 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:2021\\ م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

الآية الأولى في السورة التي نبحث عنها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ () الم﴾ وهذا ما يسمى بالحروف المقطعة[1]، المطالع لكتب التفسير يتضح له الاختلاف الشديد في تفسير الحروف المقطعة، ويمكن أن نختصر هذه الأقوال في أقوال ثلاثة:

القول الأول: أن الحروف المقطعة لا معنى لها، وهذا أسهل الأقوال، فلا تتعبوا أنفسكم تفسيرها، لا نعلم معنى لها، ولا معنى لشيء شيء وكونه قد جيء به لغرض شيء آخر، لا معنى لها، لكن لها فائدة، لها غرض.

القول الثاني: لها معنى، لكنها من المعاني المحجوبة عنا، لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى ومن ارتضى من نبي أو وصي، أيضاً هذا القول يغلق الباب على علماء التفسير، صحيح لها معنى، لكن عن ماذا تبحث؟ لابد أن تبحث عن معنى يدخل تحت قدرتك، أما إذا كان هذا من المعاني المحجوبة التي لا تدخل تحت قدرتنا فلماذا نبحث عنها؟ ولا وجه للبحث عنها.

القول الثالث: وهو الذي يستحق أن يبحث في علم التفسير، أن لها معنى، ونستطيع أن ندركه، فبالتالي يجب أن نبحث عن معناها.

جميع الأقوال المختلفة والمتشتتة لا تخرج عن واحد من هذه الأقوال الثلاثة.

أما القول الأول فأربابه اختلفوا إلى فرقتين:

[illegible]

الفرقة الأولى: الذي يعتبره الزمخشري من الآراء التي من القوة والخلاقة بمكان، يستحق أن نتبناه، أن هذه الحروف المقطعة التي جاءت في أوائل السور، والتي تكون في مقام التحدي، نحن في القرآن الكريم عندنا تسعة وعشرين مورد وردت فيه الحروف المقطعة، وإذا نلاحظ ما يأتي بعد الحروف المقطعة ﴿ذلكَ الْكتاب﴾ وما يقرب من هذا للمعنى، كله يتكلم عن الذكر والتنزيل والقرآن والكتاب وآيات الله سبحانه وتعالى التي هي في مقام التحدي والإعجاز.

خلاصة هذا القول والذي استحسنه جملة من المتأخرين والمعاصرين: هو أن التحدي على نوعين، مرة مهندس يبني بناية أو جسر معين معلق، فحتى يتحدى الناس والمهندسين الآخرين يوجد طريقتان:

الطريقة الأولى: يقول بنيت هذا الجسر، تعالوا ابنوا مثل هذا الجسر.

الطريقة الثانية: أن يأتي بمواد بالمواد التي بنى منها هذا جسر، ويقول تفضلوا هؤلاء العمال الذين ساعدوني تعالوا وابنوا بمثل هذا الجسر.

لا شك أن الصورة الثانية أبلغ في التحدي، القرآن الكريم يتحدى المشركين، هل تستطيعون أن تأتوا بمثل هذا القرآن؟ وهذه هي الأدوات، وهذه هي المواد، ألم، ألمر، كهيعص، ص، ن، وبقية الحروف المقطعة، ففي مقام التحدي قدم لمن يتحدى المواد التي شكل منها هذا قرآن الكريم، فهذا أبلغ في عملية التحدي، هذا مبنى يرجع إلى القول الأول، فإذن هي لا معنى لها، لكن لها غرض، الغرض فيها كونها أبلغ في التحدي والإعجاز.

هذا القول يوجد عليه رواية في التفسير المنسوب لمولانا العسكري عليه السلام، الرواية هكذا تقول: (كَذَّبَتْ قُرَيْشٌ وَالْيَهُودُ بِالْقُرْآنِ وَقَالُوا: سِحْرٌ مُبِينٌ تَقَوَّلَهُ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ: «الم ذلكَ الْكتابُ لا رَيْبَ فيه- هُدىً لِلْمُتَّقينَ» أَيْ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَيْكَ- هُوَ [ب] الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ الَّتِي مِنْهَا: أَلِفٌ، لَامٌ، مِيمٌ وَهُوَ بِلُغَتِكُمْ وَحُرُوفُ هِجَائِكُمْ، «فَأْتُوا بِمِثْلِه أن كُنْتُمْ صَادِقِينَ» وَاسْتَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِسَائِرِ شُهَدَائِكُمْ.)[2] فإذن هذا المبنى أدعي أنه تدل عليه هذه الرواية، لا شك أن هذه

---

[2] ، a ы Тьюlй т Я Д(Тр Ю Ь а Т Л в Ю Ш l п Ю | ш м Тэк в Ю l р т Т У 62 :J

الرواية تنسجم مع هذا المبنى، إلا أن الإشكال في هذه الرواية، أن هذا التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام لم يثبت، بل التحقيق يقتضي أنه لابن يسار، وليس للإمام العسكري عليه السلام، فإذن لا يوجد دليل محكم نستطيع أن نتمسك به لإثبات هذا المبنى.

طبعاً، هذه الرواية بعينها -وهو ما غفل عنه جملة من المفسرين- مروية في كتابي معاني الأخبار للصدوق، وهناك الرواية المسندة[3]، وكتاب معاني الأخبار للصدوق كتاب معتبر[4]، لكن الإشكال أن هذا السند فيه أكثر من رجل يتصف بالضعف والجهالة، فلا تكون المسألة محلولة من حيثية الصدور.

المبنى الثاني: يقول الحروف لا معنى لها، والغرض منها إثارة الانتباه؛ لنفترض أنا أعطي هذا الدرس، بدأ مجموعة من الأخوة يتكلمون فيما بينهم، فبالتالي يشوشون عليّ، فسكت، فحتى أثير انتباههم فأرفع صوتي بكلام غريب، لا بالدرس نفسه، لأنه كانوا يتكلمون وأنا أتكلم بالدرس نفسه، هذا لا يؤثر، فهذا الكلام الغريب يلفت نظرهم فينصتوا ليعرفوا ماذا أريد. إذن هذا غرض، والمشركون كانوا عندما يتكلم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بالقرآن الكريم كانوا يضجون، كان البعض يضع أصابعه في آذانه، كانوا يشوشون على الكلام المنزل، فنزلت الحروف المقطعة؛ لكونها غريبة تلفت النظر، ماذا يتكلم؟ فينصف؛ لأنه في قوله تبارك وتعالى في سورة فصلت: ﴿وَقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُون﴾[5] يعني عندما ينزل الغوا فيه، ضجوا ولا تدعوه يصل إليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُون﴾ المهم في هذه الحروف والمفردات غير المألوفة باعثة على إثارة المخاطب؛ ليعرف ماذا يأتي بعدها.

هذا القول في الواقع مثل إنسان لا يعرف شيء ولا يفهمه، ويريد أن يحل المشكلة كيفما اتفق، نركب سيناريو في حد ذاته قد يكون جميلاً، لكن الكلام في الدليل عليه، والشاهد عليه، لا يوجد شاهد عليه، بل تسجل عليه ملاحظات ثلاث:

---

[3] [illegible]

[4] [illegible]

[5] [illegible]

الملاحظة الأولى: أن هذه الظاهرة، أن المشركين كانوا يضجون، كانت في مكة المكرمة، لا في المدينة بعد حكومة الإسلامية، إذا واحد يضج يقوم له الصحابة، والحال أنه يوجد خمس سور فيها حروف مقطعة، وهي سور مدنية، وليس مكية، مثل: سورة البقرة.

الملاحظة الثانية: أن النبي ﷺ لم يقرأ على الناس السور كاملة، كأن يقول توقفوا أريد أن أقرأ لكم سورة آل عمران، وبدأ بقراءة سورة آل عمران وبدأوا يضجون، كان يقرأ عليهم الآيات نجوماً، فحينئذ نتساءل: ما هو السر في أن الحروف المقطعة كانت في بدايات السور؟ كان ينبغي كل ما يريد أن يقرأ عليهم نجم يشرع بالحروف المقطعة حتى يلفت انتباههم، لا أن تنحصر هذه ببداية السور؛ لأن قول المشركين لا تسمعوا لهذا القرآن لا يختص ببدايات السور، بل المقصود منه من القرآن، هنا القرآن بالحمل الشايع، يعني كل آية من آياته.

الملاحظة الثالثة: بناء على ذلك، على هذا القول لا تكون الحروف المقطعة من القرآن الكريم، بل من النبي ﷺ فإقحامها في القرآن الكريم بلا وجه.

وللأسف البعض تبنى هذا القول تبعاً لبعض المستشرقين، وسوف يأتي أن بعض المستشرقين ذهبوا إلى أن هذه الألفاظ ليست حتى من النبيﷺ، وإنما هي أسماء للمصاحف، كهيعص يعني مصحف ابن مسعود وإلى آخر ما هنالك.

ونعم ما قال الشيخ محمد عبده في هذا المجال، يقول: "ليس من الدين في شيء أن يتنطع متنطع فيخترع ما يشاء من العلل التي قلما يسلم مخترعها من الزلل"[6]. واقعاً ليس من الدي ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[7] فجاء مثل طه حسين وتبنى هذا الرأي، وطه حسين يصفه أحمد أمين بأنه لن يكون الدين بعد طه حسين كما كان قبل طه حسين، ويمدح به مدحاً كبيراً قال: لمس طه حسين الذين تأخروا بالاستشراق والغرب إلى آخره. إذن هذا المبنى ليس له دليل في عالم الثبوت.

القول الثاني: لها معنى، ولكن لسنا مخولين لمعرفته، يعتبر من الأسرار، كلمات خاصة بين الحبيب وحبيبه. جماعة قالوا هي رموز لأسماء الله تعالى أو لأسماء رسوله أو لأسماء ملائكته، لا نعرف ما معنى هذه الرموز.

القول الثالث: أن لها معنى معلوم، اختلف أرباب هذا المعنى، المعروف أنهم يرجعونه إلى حساب الجمل، لعمر هذه الأمة، كم تبقى هذه الأمة الإسلامية؟ فنحسب ألم كم تكون بحساب الجمل؟ كهيعص كم تكون بحساب الجمل؟

باعتقادي أن الأولى أن نسوق الكلام إلى ما عليه الروايات، ماذا يمكن لنا أن نستفيد من هذه الروايات، وإلا لولا الروايات نقول هذه الألفاظ هي رموز، نسلم أنها من القرآن الكريم، ولكنها رموز لا نعلم معناها.

لكن قبل أن نبحث في الروايات، هناك شبهة، قد يقال: ينبغي أن نلغي الرمزية من الحسبان؛ لأن رمزية هذه الحروف تتنافى مع كون القرآن الكريم كتاب هداية، إذا جاءك شخص يريد أن يستهدي على طريق، فتكلمت له برموز، فلا يصدق عليك بأنك هاد له، وبأنك دللته على العنوان، كتاب الهداية لابد أن يكون بكلام مفهوم. فبناء على ذلك القول القائل برمزية الحروف المقطعة، يجب أن نسقطه من الاعتبار.

هذه الشبهة دفعها سهل، أنه صحيح الآيات القرآنية دلت على أن القرآن كتاب هداية وكتاب تبيان، ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [redacted] أن

، فإ صلى الله عليه وآله

[redacted] ، أ ، ، فإذن

.

---

2 ةرﻮﺳ ﻞﻴﻟ
89 ﺔﻳﻵا ﺮﺴﻔﻟا ﻲﻓ ﺚﺤﺒﻟا